

على صوت ذباب طائر على بُعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك . وهذه الآلات الحديثة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سماعه بالطرق السمعية التقليدية .  
وهذه الطاقة غير العادية للسمع لا تخص الآلات العلمية الحديثة، وإنما وهبها الله تعالى بعض الحيوانات .  
فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مرّ من الطريق، وقد استغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف .  
وحشرة (العُتَّة) مجنّحة، لو وضعتها على نافذة فسُتحدث صوتاً يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جداً، ويجيها الزوج بطريقته الخاصة .  
والجُذْب يحك رجليه وجناحيه، ويصوّت بطريقة غير عادية، ويسمع على بُعد نصف ميل .  
ولأبني النطيط قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين . . .  
وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى<sup>(١)</sup> .



### الوحي أمر خارج عن النفس

الاعتقاد بالوحي هو الأساس الذي يبنى عليه الاعتقاد بالنبوات، وهي الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها .  
لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش، وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ، حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر .

(١) الإسلام يتحدّى ص ٩٦ - ٩٧ .

حتى قال هؤلاء من المستشرقين<sup>(١)</sup> وغيرهم: إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها.

أما نحن فنعتقد: أن الوحي ليس هو من قبيل الحدس، والشعور الباطني، ودلالات النفس، والفراسة السريعة، التي غالباً ما تتأثر بالرياضات الروحية، والتفكير المستديم الطويل، أي أنه ليس من قبيل الوحي النفسي، الذي هو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية والسريرة الظاهرة<sup>(٢)</sup>.

لأن هذه لا تنشيء المعرفة التامة واليقين الكامل، الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة.

بل إن الوحي هو (أمر طاريء زائد على الطباع البشرية)<sup>(٣)</sup>، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية، بواسطة الملك الموكل بذلك.

والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومعالمه، وما يطرأ على النبي ﷺ من ظواهر، يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس.

يتضح ذلك في الأمور الآتية<sup>(٤)</sup>:

١ - حين جاء الملك جبريل في غار جزاء إلى النبي ﷺ أمره بالقراءة - وهو أمي - كما جاء في صحيح البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: فقال له - جبريل - : «اقرأ»<sup>(٥)</sup>، قال: ما أنا بقارئ، قال - أي النبي - : فأخذني فغطني

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ط ٣ ج ١ ص ١٣٤.

(٢) الكلام عن الوحي النفسي في الوحي المحمدي ص ٦٦.

(٣) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٠.

(٤) انظر الوحي المحمدي ص ٨٩ وما بعدها، ومناهل العرفان ج ١ ص ٥٦ وما بعدها، وج ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها، والنبأ العظيم ص ٢٠ وما بعدها، والظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ١٦٥ وما بعدها، ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٢ وما بعدها، وكبرى اليقينيات الكونية ص ١٩٨ وما بعدها، والرسول لسعيد حوى ج ٢ ص ١٣ وما بعدها.

(٥) الأمر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف - أي: كن قارئاً.. ولذلك قال له في الثالثة: «اقرأ باسم ربك» أي: كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقداره إياك على القراءة، لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أمي، أما وقد شاء ربك أن يخلق الإنسان من علق، ويجعله بصيراً وسميعاً، شاء أن يجعلك قارئاً، لما يوحيه إليك، لتقرأه على الناس، فأنت تكون قارئاً/ الوحي المحمدي هامش ص ٨٥.

وغط جبريل الرسول ﷺ ليفرغه عن النظر إلى أمور الدنيا، ويُقبل بكليته إلى ما يلقي إليه، وكرره للمبالغة، وقيل: غيره./ إرشاد الساري ج ١ ص ٦٣.

- أي: ضمني بشدة وعصري - حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ .

فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجِفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ؓ، فقال: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «لقد خَشِيتُ على نفسي».

وقد عبّر النبي ﷺ عن رعبه من رؤية الملك جبريل، في رواية أخرى للبخاري في تفسير سورة المدثر: «فَجِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا» وفي رواية أخرى: «فَجِئْتُ مِنْهُ هَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ» وجئت بمعنى: فرعت وخفت.

ولذلك لم تجد زوجته خديجة وسيلة تطمئن النبي على نفسه، وتطمئن هي عليه، إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن، وهو ابن عمها وَرَقَةُ بْنُ تَوْقَلٍ، الذي قرأ كتب اليهود والنصارى وطمأنهما، وقال: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى.

يتضح بعد هذا: أن ضم الملك جبريل للنبي، وعصره إياه بشدة، وأمره بالقراءة ثلاثاً، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي، ونفي كونه نفسياً أو خالياً، ولذلك خُيِّلَ إليه أنه قد أَلَمَ به، فأسرع إلى زوجته، يشركها فيما جرى له من اضطراب ورعب وحيرة، يرجف فؤاده خائفاً، ويخشى على نفسه الموت، من هول ما رآه، فقال لها: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» ملتصقاً الدثار، ليسكن إليه، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

ويعاوده الوحي مرة أخرى بعد فترة من الزمن، يأمره ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُرْ فَأَنْذِرِ ۝﴾ . . . ﴿فِي تَأْمَلِ الرَّسُولَ ۖ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ حِيرَانٌ، فيقول لخديجة: «لقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، فمن ذا أدعو، ومن ذا يستجيب؟».

كل هذا يدل على أن الوحي ليس بذاتي، وإنما هو خارجي عن نفس النبي ﷺ من الله تعالى بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

٢ - الظواهر التي تصاحب النبي ﷺ حين يوحى إليه، تشهد أن الوحي لم يكن من قبيل حديث النفس، منها:

أ - يسمع النبي ﷺ صلصلة شديدة عليه، كصلصلة الجرس المتصلة الشديدة المتدركة. ففي حديث البخاري - كتاب بدء الوحي - (١):

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢.

«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال».

ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب: عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي.  
وفي مسند أحمد<sup>(١)</sup> عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: «نعم أسمع صلاصلاً، ثم أسكت عن ذلك، فما من مرة يُوحى إليّ، إلا ظننت أن نفسي تفيض».

ب - يتفصّد عرقاً في اليوم الشديد البرد:  
ففي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن كان ينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً) كتاب الفضائل - باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (حتى إذا أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرّحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات، من ثقل القول الذي أنزل عليه) من حديث الإفك. وهو في صحيح البخاري من حديث الإفك أيضاً.

ج - يغط في رأسه، وترتد وجهه (أي: يتغير فيصبح كلون الرماد):  
ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي، كُرب لذلك، وترتد وجهه).  
وفي رواية أخرى:

(كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي، نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أتلى عنه - أي: ارتفع عنه الوحي - رفع رأسه) كتاب الفضائل، باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي.

لذلك كان يُستر وجهه بثوب عند نزول الوحي عليه، وله غطيظ من الآلام التي يعانها من الوحي.

ففي البخاري - باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج - عن يعلى بن أمية: أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليه أثر الخلق (وهو نوع من

(١) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٢٢.

الطيب) أو قال: صُفْرَة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عُمرتي؟ فأنزل الله على النبي ﷺ، فَسُتِرَ بثوب، وَوِدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وقد أنزل عليه الوحي، فقال عمر: أيسُرُكَ أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله الوحي؟ قلت: نعم. فرفع طَرَف الثوب، فنظرتُ إليه، له غَطِيط (صوت فيه بحوكة) وأحسبُه قال: كَغَطِيطِ الْبَكْر (الفتى من الإبل). فلما سُري عنه، قال: «أين السائل عن العُمرة؟ اخلُغْ عنك الجُبّة، واغسل أثرَ الخُلوق عنك، وأثِقِ الصُّفْرَة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك».

د - يسمع الصحابة عند وجه النبي ﷺ حين الوحي دويّاً شديداً، كدوي النحل حين ينطلق من خليته. كما جاء في صحيح الترمذي - باب التفسير (من سورة المؤمنون) قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي، سمع عند وجهه كدوي النحل).

هـ - ينقل جسمه ﷺ عليه:

ففي حديث البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل - أي القرآني لثقله عليه - شدة). وسيأتي الحديث بلفظه كاملاً بعد قليل.  
وفي زاد المعاد: يذكر حال نزول الوحي عليه ﷺ: (حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه، حتى كادت ترضعها)<sup>(١)</sup>.

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبي، ليرتاض جسده على تحمّل عبء النبوة.

كل هذه الظواهر تدل على أن الوحي مستقل عن نفس محمد ﷺ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمل لا يستدعي ظهور هذه الأعراض التي ذكرناها من: الآلام، والغطيط، وتربد الوجه، وتفصد العرق في اليوم الشديد البرد...

٣ - الوعي الكامل والحفظ المضبوط لما أنزل عليه ﷺ عند الوحي وبعده.

وعرض جبريل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرآن الكريم كل سنة على النبي ﷺ، لا يدخل في هوى النفس، ولا يعتبر من إلهاماتها بأية حال.

ففي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول».

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٨ وحديث الرض رواه البخاري في كتاب الجهاد باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الْقَرَرِ...﴾ انظره في إرشاد الساري ج ٥ ص ٦١.

ففي الحاليتين يحصل الوعي الكامل لكل ما أوحى إليه .

وكان رسول الله ﷺ في أول نزول الوحي يحرك لسانه، متابِعاً جبريل أثناء الوحي، يردد ما أوحى إليه مخافة أن ينساه، لكن الله تعالى طمأن نبيه بأن يتكفل له بحفظه، فلا مسوغ لتحريك اللسان به .

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرْبَهُ أَنتُمْ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] .

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

ففي صحيح البخاري في باب بدء الوحي :

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٧) قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل - أي القرآني - لثقله عليه - شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما . وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٧) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ قال - أي ابن عباس - : جمعه لك صدرك، وتقرأه . ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرْبَهُ أَنتُمْ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٨) قال: فاستمع له وأنصت . ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٨) ثم إن علينا أن نقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبي ﷺ كما قرأ .

ولذلك كان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن . ففي حديث البخاري في كتاب فضائل القرآن - باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ: عن عائشة رضي الله عنها عن فاطمة عليها السلام: (أسر إلي النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي) .

قال ابن كثير: هكذا رواه البخاري معلقاً، وقد أسنده في موضع آخر في أحاديث عن ابن عباس وأبي هريرة، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، وذلك حتى يكون أثبت وأرسخ، فلا ينساه<sup>(١)</sup> .

٤ - انقطاع الوحي وإبطاؤه عن النبي ﷺ، وهو يتحرق شوقاً إليه، دليل

(١) انظر معارضة جبريل للنبي بالقرآن في: فضائل القرآن لابن كثير وهو ذيل تفسيره ص ٢٦ - ٢٧ .

استقلالية الوحي عن نفسه وفكره، فلا يصدر عن ذاته، ولا يوافيه طَوْع إرادته، فلا ينزل عليه إلا إذا شاء الله دون أن يتدخل في ذلك النبي ﷺ. ومن أمثلة انقطاعه:

أ - بعد نزول جبريل بآيات ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق) انقطع عنه ثلاثة أعوام، وفي بعض الأحاديث ستين ونصف<sup>(١)</sup>. فحزن النبي ﷺ حزناً حتى غدا منه مراراً أن يتردى من رؤوس شواهد الجبال، كما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها في باب: أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي كتاب التعبير<sup>(٢)</sup>: (وبينما هو ماش ذات يوم، إذ سمع صوتاً من السماء فرفع بصره فإذا الملك الذي جاءه بجراً، فرعب منه، فرجع إلى زوجته خديجة، يقول: «زُملوني زُملوني» فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾... فحيي الوحي وتتابع).

ب - وفتر الوحي شهراً كما في البخاري - باب حديث الإفك، من كتاب المغازي، والنبي في أشد الشوق إليه، ليحل الأزمة التي حدثت من الإفك، الذي رمى المنافقون فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، حتى قال لها النبي ﷺ: «يا عائشة أما إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله» فنزلت آيات سورة النور في تبرئها بعد كلام الناس بشهر.

ألم ير المتأمل: أن هذا الشهر أطول من سنين، والنبي فيه ينتظر الوحي مع القلق والشك المستديم، فلو لم يكن الوحي شيئاً خارجياً لادعى نزوله حين حدث الإفك، وقطع النزاع فيه.

ج - ولم ينزل الوحي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، بشأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، مع حبه التحويل، فنزل الوحي بعد ذلك بالآية: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرَاضاً قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] كما جاء في صحيح الترمذي<sup>(٣)</sup>. وهذا الانقطاع يدل على أن النبي ﷺ

(١) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٧.

(٢) ولفظ الحديث هو: (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي - فيما بلغنا - حزناً، غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى منه بذرورة جبل، لكي يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالبت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذرورة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك). / إرشاد الساري ج ١ ص ١٢١.

(٣) في صحيح الترمذي بشرح عارضة الأخوذي ج ١١ ص ٨٥ باب التفسير (عن البراء بن عازب قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلوا نحو بيت المقدس مدة أربعة عشر شهراً، ثم أنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا فِي أَسْمَاءِ كَعْبَةَ اللَّهِ كَعْبَةَ الْمَدِينَةِ﴾).

ما كان ليفتري على الناس حديثاً، إذ أنه لم يتحدث في أثنائه بمسائل الدين والقرآن ولا ذم الشرك وأهله، إذ لو تحدث بذلك لنقله لنا أَلَصَقَ الناس به، كخديجة وعلي وزيد بن حارثة في بيته، وأبي بكر الذي عاشه طول عمره. فهذا السكوت وحده في فترة الوحي برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحي الذاتي.

٥ - من أسباب نزول القرآن الكريم أن النبي ﷺ كان يُسأل في بعض الأحيان، فلا يملك للسؤال جواباً، فيسكت، وقد يستمر سكوته مدة طويلة.

فإذا نزلت الآية، دعا بالسائل، وتلا عليه ما نزل من القرآن بشأن سؤاله. وكان يجيب أحياناً فيرد الوحي بخلاف جوابه، وفيه بعض العتاب أو الملامة. فهذا دليل على أن الوحي أمر خارجي عن النفس، إذ لو كان بوحي داخلي، لا يحتاج إذا سئل إلى انتظار الجواب، ولا إلى تصحيح إذا أجاب أول الأمر.

٦ - نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن تدوين كلامه إبان نزول الوحي، خشية اختلاطه بالقرآن الكريم، لأنه يعلم تماماً: أن القرآن كلام أوحى إليه من الله تعالى بلفظه ومعناه، ولا يملك أن يغير منه حرفاً واحداً.

وكان إذا نزلت آية، أمر كتاب الوحي بكتابتها، فعلم المسلمون أن القرآن كلام رباني، يصدر عن ذات الله الأمرة بواسطة الوحي، حتى إذا استقر فهم المسلمين لهذا الأمر أُذِنَ لهم بكتابة الحديث.

وهذا يفيد أن النبي ﷺ كان يفرق بين القرآن وبين الحديث، وإن كان معنى الحديث سواء كان قدسياً أو غيره هو من الوحي، إلا أنه يصوغه بأسلوبه البشري. وشئان ما بين أسلوب القرآن، لأنه من الله رب البشر، وبين أسلوب الحديث، وإن كان من أفصح الناس، وذلك واضح للمتأمل بلا ريب.

٧ - موضوع الوحي:

الرسول ﷺ أمي، لا يعرف القراءة والكتابة، عاش في بيئة بدوية وثنية، ومعارف أهلها وعلومهم بدائية بسيطة، ليست لها قيمة، فلا تقارن بما تملكه الروم وفارس.

---

= رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله ﴿قَدْ رَكِبْتُ قَلْبُكَ وَجْهَكَ...﴾ إلى قوله: ﴿الْمَسْجِدَ الْأَقْرَبَ﴾ فوجه نحو الكعبة، وإن يحب ذلك). كما ذكر هذه المدة البخاري في كتاب (التفسير) من صحيحه عند الآية المذكورة عن البراء بن عازب أيضاً.

وكان الرسول ﷺ يذهب إلى غار جراء، يتعبد معتزلاً للناس، ولم يكن له من علم إلا ما تعلمه من مجتمعه البدائي.

وهو في هذه الحال ينزل عليه الوحي بالقرآن الكريم، وفيه من الحقائق التاريخية والكونية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة، التي لم يسبق أن فكر بها، أو ذكرها، أو اهتم بها هو أو أي واحد في عصره من بيئته أو غيرها.

وتلك الحقائق دقيقة محددة - وسيأتي كلام عنها في إعجاز القرآن - ليس لأحد إنكارها، حتى إن أحبار اليهود الذين كانوا يجادلون النبي ﷺ كانوا يذهلون، حين يرون القرآن يقص عليهم أنباء بني إسرائيل وأنبيائهم.

كل ذلك يدل على أن هذا النبي الأمي في وسطه البدائي لا يستطيع أن يأتي بهذه التشريعات والحقائق العلمية والغيبية من نفسه وفكره. فلا بد إذن من مصدر خارج ذات النبي، هو الوحي المنزل عليه من الله تعالى.

٨ - إن ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام كان وحياً وتلقياً من الله تعالى، ولم يكن صادراً عن نفسه، لأنه حين طلب من النبي أن يبدل شيئاً من القرآن، أجاب بما أوحى الله تعالى، ولم يخف شيئاً منه ولم يخالفه.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بُشْرًا بَشَرًا هَٰذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَكْتُكُمْ بِهِ. فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٥ - ١٦].

٩ - الرسول ﷺ بشر. وقد تقدمت الآيات على بشرية الرسل والأنبياء، لكنه يفترق عن البشر بأنه أوحى إليه، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦].

وتصدير الآيات بكلمة (قل) التي تكررت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة،

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١].

و﴿أَنزِلْ﴾ [الكهف: ٢٧].

و﴿وَرَزَّلْ﴾ [المزمل: ٤].

دليل على أن هناك مَنْ يوجه النبي ﷺ إلى القول بكذا وكذا، ودليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى بلفظه ومعناه، ولا صنعة فيه لمحمد ﷺ، وإنما كان عمله فيه:

أ - الوعي والحفظ .

ب - الحكاية والتبليغ .

ج - البيان والتفسير .

د - التطبيق والتنفيذ .

١٠ - تمييز الرسول ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحتل الشك والوهم، وبين يقينه الصادر عن الوحي، يدل على أنه يتلقى ما يوحى إليه تلقياً اكتسب درجة اليقين، فلا يقبل الشك، فما على الناس إلا اتباعه. وحادثة تأييد النخل شاهدة على ذلك، أخرجها مسلم في صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه قال:

(مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظن يغني ذلك شيئاً»، قال: فأخبروا بذلك فتركوه. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله ﷻ».

وفي رواية له: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(١)</sup>. وفي رواية لابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإليني»<sup>(٢)</sup>.

١١ - العتاب الشديد أو اللين، الذي جاء في القرآن الكريم للرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتُوَّلَّىٰ ۖ﴾ [عبس: ١]، وقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهٗمُ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله ﷻ: ﴿مَا كُنْتَ لِرَبِّكَ أَن يَكُونَ لَكَ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ تُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]... إلخ.

مما تقدم ذكره في (عصمة الأنبياء)، يدل على أن النبي ﷺ مبلغ، وأن ما أوحى به إليه، كان أمراً خارجياً، ولو كان نفسياً، أو من عنده ﷺ لكتمه. وما ذكر منه شيئاً يتلى على ألسنة الناس.

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٤ ص ١٨٣٥ - ١٨٣٦ كتاب الفضائل - باب وجوب امثال ما قاله شرعاً.

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٢٥ - كتاب الرهون - باب تلقيح النخل.

دليل على أن هناك مَنْ يوجه النبي ﷺ إلى القول بكذا وكذا، ودليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى بلفظه ومعناه، ولا صنعة فيه لمحمد ﷺ، وإنما كان عمله فيه:

أ - الوعي والحفظ .

ب - الحكاية والتبليغ .

ج - البيان والتفسير .

د - التطبيق والتنفيذ .

١٠ - تمييز الرسول ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحتل الشك والوهم، وبين يقينه الصادر عن الوحي، يدل على أنه يتلقى ما يوحى إليه تلقياً اكتسب درجة اليقين، فلا يقبل الشك، فما على الناس إلا اتباعه. وحادثة تأييد النخل شاهدة على ذلك، أخرجها مسلم في صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه قال:

(مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤوس النخل فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظن يغني ذلك شيئاً»، قال: فأخبروا بذلك فتركوه. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله ﷻ».

وفي رواية له: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(١)</sup>. وفي رواية لابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإليني»<sup>(٢)</sup>.

١١ - العتاب الشديد أو اللين، الذي جاء في القرآن الكريم للرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتُوَّلَّىٰ ۖ﴾ [عبس: ١]، وقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لِهَٰذَا﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله ﷻ: ﴿مَا كُنْتَ لِرَبِّكَ أَن يَكُونَ لَكَ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ تُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]... إلخ.

مما تقدم ذكره في (عصمة الأنبياء)، يدل على أن النبي ﷺ مبلغ، وأن ما أوحى به إليه، كان أمراً خارجياً، ولو كان نفسياً، أو من عنده ﷺ لكتبه. وما ذكر منه شيئاً يتلى على ألسنة الناس.

(١) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٤ ص ١٨٣٥ - ١٨٣٦ كتاب الفضائل - باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً.

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٢٥ - كتاب الرهون - باب تلقيح النخل.

«اللهم اجعل لي في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، واعظم لي نوراً» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

١٤ - حين نزل الوحي على محمد ﷺ يأمره بالقراءة وإنذار الناس، تحيّر في هذا الأمر الطارىء، وأخذ يشك، ويتساءل عنه في نفسه، ترى ما هو؟ أهى النفس أم غيرها؟ فإذا الوحي بعد هذا يفرض الحقيقة الإلهية العلوية فرضاً عليه، فيقول له حاكياً ما يدور في نفسه بكل صراحة:

﴿إِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ الْقَوْلُ بِمَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

فردّ الله تعالى لهذا الشك الذي كان يساور محمداً ﷺ، يدل على أن النبي ﷺ كان يستقبل الوحي استقبالا خارجياً، ولم يكن يملك شيئاً من أمره، لذلك قال بعد نزول هذه الآية: «لا أشك ولا أسأل» أخرجه عبدالرزاق وابن جرير عن قتادة<sup>(٢)</sup>.

هذه الأمور وغيرها جعلت النبي ﷺ يتيقن الوحي تيقناً، لا يداخله ريب فيه، فلم يكن له سبيل في الرجوع عن أمره، حتى إذا اعترضت قریش عليه، وطالبوا عمه أبا طالب بأن يكف عن دعوته وعن تسفيه آلهم، طالبه عمه بذلك، فأجاب: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه».

هذا التيقن هو الذي دفعه لتحمل الأعباء الشديدة، مع إغراء المشركين له بالمال والمُلْك إذا ترك دعوته، فرفض إغراءاتهم، وقاسى هو وأصحابه الآلام التي تنوء بها الرواسي في سبيل دعوته، وعادى أهله وقبيلته، والعرب وغيرهم، فأعلن حرباً شعواء على معتقداتهم، فنصره الله تعالى على أعدائه، وأظهر رسالة الإسلام في الأرض، فلم يقف أمامه عائق مهما عظم، ولم يصمد بوجهه جبار مهما عتي وتجبّر.



(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٣٠ كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) الظاهرة القرآنية ص ١٨٨ ناقلاً الحديث عن تفسير السيوطي وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٢ عن قتادة وقال: وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن البصري.